

النقد النفسي

يعد المنهج النقدي النفسي من أهم المناهج التي أثرت بشكل كبير في الأدب والنقد الأدبي في القرن العشرين؛ حيث يعتمد على استخدام مفاهيم علم النفس لفهم النصوص الأدبية وتحليلها، وذلك من خلال السعي إلى تفسير وتوضيح البنى النفسية للشخصيات الأدبية، وطبيعة العلاقات النفسية التي تتخلل النصوص الأدبية.

وبمعنى أكثر تفصيلاً يستقي هذا النوع من النقد مبادئه وقواعده النقدية من نظريات التحليل النفسي التي أرسى أصولها وأسسها الطبيب (سيجموند فرويد)، والتي ترد الفن والإبداع إلى نقطة اللاوعي في العقل الإنساني.

• نشأته:

ارتبط النقد النفسي بالتحليل النفسي وعالمه فرويد الذي تعد أفكاره حول اللاوعي، والغرائز، والدوافع المكبوتة، من أبرز الأسس التي قام عليها المنهج النفسي في الأدب، حيث قدم فرويد فكرة أن الإنسان لا يدرك كل ما يفعله في حياته، وأن هناك دوافع غريزية وعواطف خفية تؤثر في سلوكه.

ورأى أن النص الأدبي يحتوي على موقع أثري يتكون من طبقات من الدلالات متراكمة بعضها فوق بعض ولا بد من الحفر والتنقيب فيها قصد الكشف عن غوامضه وأسراره. وتقوم فكرة اللاوعي عنده على أن المرء يبني واقعه بناءً على رغباته المكبوتة، فإن كل تعبير سلوكي كان أو خيالا، هو مجموعة معقدة من الرموز التي تحاول الكشف بطريقة غير مباشرة عما يتمنى هذا المرء فعله واللاوعي عميق الجذور في حياة الإنسان العاطفية والجسدية التي يفترض اشباعها.

والأدب والفنون عامة، في رأي فرويد شكل من أشكال التعبير عن هذه الرغبات المكبوتة وصورة من صورة التنفيس الشكلي عن اللاوعي المحتزن كما يرى أن الأعمال الأدبية العظيمة تشكل أسلوباً يلجأ إليه اللاوعي للتعبير عن نفسه تعبيراً سامياً، فيشعر الكاتب بعد إبداعه بالرضى والارتياح، ومرد هذا الشعور هو تخلصه من مكبوتات كانت تقلقه.

• مبادئه:

يقوم المنهج النفسي على مجموعة من المبادئ أهمها:

- النص الأدبي مرتبط بلاشعور صاحبه.
- وجود بنية نفسية متجذرة في لاوعي المبدع تتجلى بشكل رمزي على سطح النص، وأثناء التحليل لا بد من استحضار هذه البنية.
- يعتبر رواد المنهج النفسي الشخصيات الموجودة في الأعمال الأدبية شخصيات حقيقية لأنها تعبر عن رغبات ووقائع حقيقية مكبوتة في لاشعور المبدع.
- النظر لصاحب النص (الفنان عموماً) على أنه عصائي، أما النص فهو عرض عصبي (مكبوت) النص نتيجة المكبوت).

• مجالات النقد النفسي:

يركز المنهج النفسي في دراسته للأعمال الإبداعية على جوانب مختلفة نذكر منها:

1- عملية الإبداع الفني: إن العنصر النفسي أصل من أصول العمل الأدبي، أي أنه تجربة شعورية تستجيب لمؤثرات نفسية، والسؤال المطروح كيف تتم عملية الإبداع الفني والأدبي؟ يرى فرويد أن العمل الأدبي يمكن النظر إليه من خلال علاقته بأنشطة بشرية ثلاثة: (اللعب، التخيل، والحلم). فالإنسان يلعب طفلاً ويتخيل مراهقاً ويحلم أحلام يقظة أو نوم وهو في كل هذه الحالات يشكل عالماً خاصاً به، وما أشبه المبدع بالطفل الذي يلعب عندما يصنع عالماً من خيال يصلح فيه من شأن الواقع.

وقد ركز فرويد على هذا الجانب تحديداً - ارتباط الأدب بالحلم - لأن كلا منهما يمثل انفلاتاً من الرقابة وهروباً من الواقع، ولذلك قسم فرويد النفس البشرية إلى مناطق ثلاثة:

أ- الأنا: وهو الجانب الظاهر من الشخصية وهذا الجانب يتأثر بعالم الواقع من ناحية وعالم اللاشعور من ناحية أخرى، وهو يميل أن تكون تصرفاته في حدود المبادئ الخلقية التي يقرها الواقع.

ب- الأنا العليا: وتتكون منذ الطفولة فالطفل يزن الأمور حسب نظرة والده، فالطفل يعجب بوالده الذي يجمع بين القوة والعطف.

ج- الهو أو الهوى: يرى فرويد أن هذا الجانب من أهم الجوانب في حياة الإنسان، ومن صفاته:

➤ إنه لا يتجه وفق المبادئ الخلقية.

➤ إنه جانب لاشعوري.

➤ يسير على مبدأ تحقيق اللذة والألم.

➤ لا يتقيد بقيود منطقية.

➤ من مركباته النزعات الفطرية والوراثية، وأهمها النزعة الجنسية.

2- النص والمتلقي

وهنا يعني الناقد بعلاقة العمل الأدبي بالآخرين، وتأثرهم به مجيباً بذلك على سؤال تردد طرح كثيراً، هو: لماذا يستثيرنا الأدب؟

فأجاب البعض قائلاً: إنه يستثيرنا لأنه يقدم في شكل رمزي، فنحن نعيش تجاربنا السابقة مع هذا النص.

وهنا يكون التركيز على المتلقي ومدى استجابته نفسياً لهذا العمل الأدبي.

• مآخذه وانتقادات التي وجهت إليه:

➤ إهمال النص والاهتمام بصاحبه وبلاشعوره.

➤ إهمال فنيات النص وجمالياته والتركيز على الاهتمام بمضمونه النفسي.

- الاهتمام برديء الأعمال مع تفضيلها على الجيدة كونها الأقرب إلى ملامسة ما تدعو إليه النفسانية.
- تحميل النصوص تأويلات قد لا تتناسب مع ما تطرحه ، إلى جانب ربط النص بالوثيقة النفسية.
- انحصار موضوعات النقد النفسي حول الإجرام ، والانحراف الجنسي ، وتعذيب الذات وغيرها من المواضيع ذات علاقة.